

القصيدة في الخسوف والكسوف

واقترضبتها لقتل السرحان وتنجية الخروف

غَسَا النَّيِّرَانِ هِدَايَةً لِلْكَوْدَانِ
 وَإِنَّمَا كَالشَّاهِدِينَ تَظَاهَرَا
 وَقَدْ فَرَّ قَوْمِي نَخْوَةً وَتَعْصَبًا
 وَتَرَكَوْا حَدِيثَ الْمُصْطَفَى خَيْرَ الْوَرَى
 وَمَا بَقِيَ لِلنُّوَكَى مَفْرُؤٌ بَعْدَهُ
 وَقَدْ نَبَذُوا التَّقْوَى وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
 وَوَاللَّهِ إِنْ الْيَوْمَ يَوْمَ مَبَارِكٍ
 وَهَذَا عَطَاءٌ مِنْ قَدِيرٍ مُكُونٍ
 فَفَاضَتْ دُمُوعَ الْعَيْنِ مِنِّي تَأْتُرًا
 قَدْ انْكَسَفَتْ شَمْسُ الضُّحَى لَضِيَانِنَا
 تَرَى أَنْوَارَ الدِّينِ فِي ظُلْمَاتِنَا
 وَلَيْسَ كَسُوفًا مَا تَرَى مِثْلَ عِنْدَمٍ
 وَحُمُرُتْهَا غِيْظٌ تَرَى فِي خَدَّهَا
 ظِلَامٌ مُنِيرٌ يَمَلَأُ الْعَيْنَ قَرَّةً
 وَلَوْ قَبْلَ رُؤْيَيْهِ أَنْابَ مُخَالِفِي
 وَلَكِنَّهُ عَادَى وَقَفَلَ قَلْبَهُ
 رَأَيْتَ ذَوِي الْآرَاءِ لَا يَنْكُرُونِي

يَقُولَانِ لَا تَتْرُكْ هُدًى وَتَدِينِ
 هُمَا الْعَدْلُ قَدْ قَامَا فَهَلْ مِنْ مُؤْمِنِ
 وَأَيْنَ الْمَفْرُوعِ مِنَ الدَّلِيلِ الْبَيِّنِ
 فَسَادًا وَكِبْرًا مَعَ دَعَاوِي التَّسَنُّنِ
 وَإِنِّي أَرَاهِمُ كَالْأَسِيرِ الْمُقَرَّنِ
 وَأَلْهَتَهُمُ الدُّنْيَا عَنِ الْمَوْلَى الْغَنِيِّ
 يَذْكُرُنَا أَيَّامَ نَصْرِ الْمَهِيْمِنِ
 وَفَضْلُ اللَّهِ مِنَ النَّصِيرِ الْمَهْوُونِ
 إِذَا مَا رَأَيْتُ حَنَانَ رَبِّ مُحْسِنِ
 لِيُظْهِرَ ضَوْءَ ذِكَاثِنَا عِنْدَ مُعِينِ
 وَلَمَّاتِهَا كَأَنَّهَا أَرْضُ مَخْزَنِ
 بَلْ أَحْمَرَّ وَجْهَ الشَّمْسِ غَضَبًا عَلَى الدِّينِ
 عَلَى جَهْلَاتِ الْقَوْمِ فَانظُرْ وَأَمْعِنِ
 وَيَسْقِي عَطَاشَ الْحَقِّ كَأْسَ التِّيْقِنِ
 لَهْدِي إِلَى الْأَسْرَارِ قَبْلَ التَّفَكُّنِ
 فَقَلْنَا أَهْلَكُنْ فِي جَهْلِكَ الْمُتَمَكِّنِ
 وَذِي لَوْتَةٍ يَعْوِي لَوْجَعِ التَّسَكِّنِ

فإن كنتَ تبغي الله فاطلُبْ رضاه
 يقبلي خاطبُ الدنيا الدنيّة مألها
 وإن كنتَ تبغي النحرَ في الحجِّ فامتنِ
 ومن أزمعَ العقبي فليله يقتني
 وقد ظهر الحق الصريح ونوره
 فلا تتبعوا جهلاً عماياتِ ضيّزني

أيضاً في الخسوف والكسوف لدعوة الضالين والأمر بالمعروف

خَيْرٌ لَنَا وَلخَيْرِنَا أَمْرٌ بَدَأَ
مَشْمُولَةً قَدْ بَرَّدَتْ حَرَّ الْعِدَا
بَرْقُ الرُّوَاعِدِ كَانَ فِيهَا مُرْجَدَا
حَكْمٌ مُهَيِّنٌ الْكَاذِبِينَ تَهْدُدَا
لِيُهَيِّنَ فِتْنَانًا شَرِيرًا مَفْسُدَا
أَفْتَلِكُ أَمْ سَيْفٌ مَبِيدٌ جُرِّدَا
كَالسَّمْهَرِيَّةِ شَجَّهَ أَوْ كَالْمُدَى
قَلْنَا جَهُولٌ قَدْ هَدَى مُتَجَلِّدَا
مَا شَاءَ أَنْ يُوْذِيَ الْعَبِيْطُ مُؤَيِّدَا
إِنْ الْمَهِيْمِنُ لَا يُوْخِرُ مَوْعِدَا
لَيْكْتُ الْمَوْلَى أَلَدَا أَسْمَدَا
شَمْسٌ بِتَبْشِيرٍ تُشَابَهُ هُدُودَا
زُبْرٌ تَجَدُّ نَقُوشَ شَمْسٍ مَقْتَدَى
خَدًّا كَمَخْدُودٍ وَوَجْهًا أَعْيَدَا
حَسَدًا تَجَرَّمْ غَيْمِكُمْ وَتَقَدَّدَا
فَالْيَوْمَ صَفُّ الْمَفْسُدِينَ تَبَدَّدَا
حَتَّى انْتَنَى مِنْ أَمْرِهِ مَتَرَدَّدَا

ظَهَرَ الْخَسُوفُ وَفِيهِ نُورٌ وَالْهُدَى
هَبَّتْ رِيَّاحُ النُّصْرِ مِنْ مَحْبُوبِنَا
فِي لَيْلَةٍ قُدَّتْ ثِيَابُ غَمَامِهَا
قَمْرٌ مُعِينُ الصَّادِقِينَ مَبَارِكُ
رَدِفَ الْكُسُوفُ خَسُوفَهُ مِنْ رَبِّنَا
شَمْسُ الضُّحَى بَرَزَتْ بِرَعْبٍ مُبَارِزُ
سَقَطَتْ عَلَى رَأْسِ الْمَخَالِفِ صَخْرَةٌ
إِنَّا صَفَحْنَا عَنْ تَفَاخُشِ قَوْلِهِ
لَكِنْ مُؤَيِّدُنَا الَّذِي هُوَ نَاطِرُ
نُصْرٍ مِنَ اللَّهِ الْقَرِيبِ بِفَضْلِهِ
قُضِيَ النِّزَاعُ وَشَاهِدَانُ تَظَاهِرَا
قَمْرٌ كَمَثَلِ حَمَامَةٍ بَدَلَالِهِ
قَطَعَتْهَا تَهْدِي الْقُلُوبَ كَأَنَّهَا
أَوْ مِثْلُ وَاشْتِمَةِ أَسْفَ نُوُورُهَا
يَا أَيُّهَا الْمُتَجَرِّمُونَ بِعَجَلَةٍ
كُنَّا نَرَى أَسْفًا تَأْجُلُ بِهَمِّكُمْ
وَقَدْ اسْتَبَاحَ الْعُؤْلُ جَوْهَرَ عَقْلِهِ

إن السعيد يجيء ملتقطاً النهى
 إنا سلخنا شهر رمضان الذي
 القمر ساريةً ومثلُ عشيةٍ
 هذا من الله المهيمن آيةً
 فاسعوا زرافاتٍ ووحداناً له
 ظهرت خطاياكم وححص صدقنا
 صارت ديار الهند أرضَ ظهورها
 فأذبةُ الأوهام قصَّ جناحها
 فتجافَ عن أيامٍ فيجِ أعوج
 كانت شريعتنا كزرعٍ مُعجب
 العين باكية على أطلالها

ولقيطةُ الشيطانٍ يزري ملحداً
 فيه الخسوف مع الكسوف تفرّداً
 والشمس غادٍ مُدجنٌ قطرَ الندى
 لبيد من ترك الهدى متعمداً
 متقدمين وبادرين إلى الهدى
 فابكوا كثكلى في الزوايا سُجداً
 ليسكت الرحمن غولاً مُفندا
 رحماً على قوم أطاعوا أهدا
 حججٌ خلونَ تغافلاً وتمرداً
 فيها تعرّت مثلَ أزعرٍ أربدا
 يا ربّ فاعمرْ خربها متوحداً

وأما تفصيل الكلام في هذا المقام، فاعلموا يا أهل الإسلام وأتباع خير الأنام، أن الآية التي كنتم تُوعَدون في كتاب الله العلام، وتُبشِّرون من سيد الرسل نورِ الله مُزيلِ الظلام.. أعني خسوف النَّبِيِّينِ في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، قد ظهر في بلادنا بفضل الله المتَّان، وقد انخسف القمر والشمس وظهرت الآيتان، فاشكروا الله وخرّوا له ساجدين.

وإنكم قد عرفتم أن الله تعالى قد أخبر عن هذا النبأ العظيم في كتابه الكريم، وقال للتعليم والتفهم: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ *﴾، فتفكروا في هذه الآية بقلب أسلم وأطهر، فإنه من آثار القيامة لا من أخبار القيامة كما هو أجلى وأظهر عند العاقلين. فإن القيامة عبارة عن فساد نظام هذا العالم الأصغر وخلق العالم الأكبر، فكيف يقع في حالة الفكِّ الخسوف الذي تعرفون، باليقين لا بالشك، علله وأسبابه، وتفهمون مواقعه وأبوابه؟ وكيف يظهر أمرٌ لازم للنظام بعد فكِّ النظام والفساد التام؟ فإنكم تعلمون أن الخسوف والكسوف ينشآن من أشكال نظامية وأوضاعٍ مقرّرة منتظمة، على أوقات معيّنة وآيام معروفة مبيّنة، فكيف يُعزى وقوعها إلى ساعةٍ لا أنسابٍ فيها ولا أسباب، ولا نظامٍ ولا إحكام؟ فانظروا إن كنتم ناظرين.

ثم من لوازم الكسوف والخسوف أن يرجع القمر والشمس إلى وضعهما المعروف، ويعودا إلى سيرتهما الأولى، وفي هويتهما داخل هذا المعنى، وأما تكوير الشمس والقمر في يوم القيامة فهي حقيقة أخرى، ولا يُرَدُّ فيهما نورهما إلى حالة أولى، بل لا يكون وقوعه إلا بعد فكّ النظام والفساد التام وهدم هذا المقام، وما سمّاه الله خسوفا وكسوفا بل سماه تكويرا أو كشط الأجرام، كما أنتم تقرأون في كلام الله العلام. فثبت من هذا الكلام عند الخواص والعوام، أن ما ذكر من الآية في هذه الآية فهو يتعلّق بالدنيا لا بالآخرة، وعزّوه إلى القيامة بناءً على الرواية خطأً في الدراية، بل هو خبر من أخبار آخر الزمان وقرب الساعة واقتراب الأوان كما لا يخفى على المتدبّرين.

ويؤيده ما جاء في **الدارقطني** عن محمد الباقر بن زين العابدين قال: "إن المهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه". وأخرج مثله **البيهقي** وغيره من المحدثين. وقال صاحب الرسالة الحشرية "شاه رفيع الدين الدهلوي" الذي هو جليل الشأن من علماء الملة إن جماعة من أهل مكة يعرفون المهدي بالتفرس التام، وهو يطوف بين الركن والمقام، فيبايعونه وهو كاره من بيعة الأنام. وعلامة هذه القصة عند محدثي الملة أن القمر والشمس ينكسفان في رمضان خلا قبل تلك الواقعة.

وأما نحن فما اطلعنا على مسانيد تلك الآثار، وطرق توثيق هذه الأخبار، إلا على القدر المشترك الذي عرفناه بتواتر الرواية وحسن الدراية ومشاهدة الواقعة وقيام البرهان، وقد وافقه نصوص القرآن ولو بإجمال البيان. ومع ذلك نرى هذه الآثار وقد ظهر في أهل مكة عَلَيَّ يُصَدَّقُ هذه الأخبار. وقرأتُ في مكتوب أنهم ينتظرون الخسوف والكسوف بالانتظار الشديد، ويرقبونهما رقبَةً هلال العيد. وما بقي فيها بيت إلا وأهله ينامون ويستيقظون في هذه الأذكار، فهذا تحريك من الله الذي أراد إشاعة هذه الأنوار. وإني أرى أن أهل مكة يدخلون أفواجًا في حزب الله القادر المختار، وهذا من ربّ السماء وعجيب في أعين أهل الأرضين.

وذكرَ بعض المتأخّرين أن القمر ينخسف في الثالث عشر من ليلة رمضان، والشمس في السابع والعشرين، ولا منافاة بينه وبين ما روى الدارقطني إلا قليلا عند المتفكرين. فإن عبارة الدارقطني تدل بدلالة صريحة وقرينة واضحة صحيحة، على أن خسوف القمر لا يكون في أول ليلة رمضان أصلاً، ولا سبيل إليه جزماً وقطعاً، فإن عبارته مقيّدة بلفظ القمر، ولا يُطلق اسم القمر على هذا النَّيِّرِ إلا بعد ثلاث ليالٍ إلى آخر الشهر، وسُمِّيَ قمرًا في تلك الأيام لبياضه التام، وقبل الثلاث هلال وليس فيه مقال، وهذا أمرٌ ♦ اتفق عليه

♦ قال صاحب تاج العروس: يُسمى القمر لليلتين من أول الشهر هلالاً. وفي الصحاح: القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر. وقال بعضهم الهلال إلى سبع. وقال أبو إسحاق: والذي عندي وما عليه الأكثر أن يُسمَّى هلالاً ابن ليلتين، فإنه في الثالثة يتبين ضوءه. منه.

العرب كلُّهم وجُلُّهم إلى هذا الزمان، وما خالفه أحد من أهل اللسان، ولا ينكره إلا مَنْ فُقدت بصيرته وماتت معرفته، ولا يخرج كلمةً خلاف ذلك من فمٍ إلا من فمٍ غَمْرٍ جاهل، أو ذي غَمْرٍ متجاهل، ولا تسمعها من أفواه العاقلين. فإن كنت في شك فارجع إلى القاموس وتاج العروس والصحاح وكتاب ضخيم المسمى لسان العرب، وجميع كتب اللغة والأدب، وأشعار الشعراء وقصائد النبغاء، ولك ممَّا ألف من الورق المروّج إنعامًا إن ثبت خلاف ذلك كلامًا. فلا تُحرِّفْ كلام سيد الأنبياء وإمام البلغاء والفصحاء، واتق الله يا مسكين، ولا تجترئ في شأن أفصح العجم والعرب ومقبول الشرق والغرب. أيفتي قلبك ويرضى سِرُّك بأن الأعراف الأفصح الذي أعطِيَ له الجوامع والكلام الجامع، وجُعِلتْ كلماته كلها مملوّة من غُررِ الفصاحة ودُررِ البلاغة والنوادر العربية، واللطائف الأدبية، واللبوب اللغوية، والحقائق الحكّمية، هو يُبتلى بهذا العثار، ويترك جزل اللفظ ويختار رقيقًا سَقَطًا غلطًا غير المختار، بل يخالف مُسَلِّماتِ القوم ومقبولاتِ بُلغاءِ الديار، ويصير ضحكة الضاحكين؟ والله ما يصدر هذا الخطأ المبين والعتار المهين، من فطنة خادمة وروية ناضبة، فكيف يصدر من فارس ذلك الميدان، بل سيّد الفرسان؟ ما لكم لا تنظرون عزة الله ورسوله يا معشر المجترئين؟ أبخلُكم أحبُّ إليكم وأعزُّ لديكم من خاتم النبيين؟ ألا تعرفون أن هذا اللفظ في هذا المحل منكرٌ مجهول لا يُعرَف استعماله في كلمات

أهل اللسان، وما أورده قطّ بليغ ولا غير بليغ في موارد البيان، وما أخذه عند اضطرارٍ غيبيٍّ حاطبُ ليل، فكيف سلطانُ الفصاحة وسيدُ خيلٍ؟ وقد سُيرَ بذلك غورُ عقلكم ومقدارُ نقلكم ومبلغ علمكم وفضلكم وحقيقة أدبكم وحديقة حَدَبِكُمْ، فإنكم عزّوتم إلى سيد الأنبياء ما لا تُعزى إلى جهول من الجهلاء، تكاد السماوات تنشقّ من هذا الاجتراء، فاتقوا الله ذا الكبرياء، ولُّبوا دعوة الحق تلبيةً أهل الاهتداء، قد وقع واقع فلا تميلوا إلى المرء. واتبعوا قول النبي الذي إشارته حُكْمٌ، وطاعته غُنْمٌ، ولا تكونوا من الأشقياء، ولا يفرطُ وهمكم إلى الألفاظ من غير دواعٍ كاشفةٍ الخفاء، بل فتنشوا الحقيقة واعرفوا الطريقة بحسن النيّات، ولا تلاعبوا كالصبيان بالأمر الدينيات. وأيّ حرج عليكم أن تقبلوا ما بان كالبديهات وتتركوا طرق الأكاذيب والتمويهات؟ وإني ناصح أمين، ويراني ربي عالم المخفيات، عارف الصادقين والكاذبين.

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أُظْهَرَ الْهُدَى وَأُحَقَّ بِالِدَّجَالِ ظُلْمًا مِنَ الْعِدَا
فالتأويل الصحيح والمعنى الحق الصريح أن المراد من خسوفٍ أوّل ليلة رمضان أن ينخسف القمر في ليلة أولى من ليال ثلاثٍ يكمل نور القمر فيها وتُعرَف أيام البيض، ولا حاجة إلى البيان. ومع ذلك إشارةٌ إلى أن القمر إذا خسف في الليلة القمرء الأولى فينخسف في

أول وقتها لا بعد مرور زمان*، كما هو ظاهر عند زكيّ ذي عرفان. وكذلك خُسِفَ القمر ورآه كثير من أهل هذه البلدان. وحسبُك ما رأيتَ، بل برؤيته صلّيتَ، وتبينَ الحق المنير، وتقطّعت المعاذير، فلا تكن من المرتابين.

أَيَا مَنْ يَدْعِي عَقْلًا وَفَهْمًا إِلَى مَا تُؤَثِّرُنَ وَعَنَا وَوَهْمًا
أَتَحْسَبُ نَارَ غَضَبِ اللَّهِ رِزْقًا أَتَجْعَلُ سَهْمَ قَهْرِ اللَّهِ سَهْمًا

لا يُقال إن الخسوف في أوّل وقت ليلة رمضان ما ظهر إلا في البنجاب وما يليه من البلدان، وما رُئي أثره في غير هذه الأماكن فما تمّ البرهان. لأننا نقول إن المقصد أيضا محدود في هذه البلدان، فإنها هي المظهر للمسيح الموعود والمهدي المسعود، وأمّا الديار الأخرى فلا مهدي فيها ولا عيسى، ولأجل ذلك ما ظهر الخسوف والكسوف في ديار العرب وبلاد الشام، ليزيل الله ظنون العوام، ويُبطل خيالات المبطلين.

والسرّ في ذلك أن مُلكنا البنجاب كان في علم الله مَوْلدًا للمسيح الموعود والمهدي المسعود، فأراد الله أن يهدي الخلق إليه بتخصيص الإمارات وتعيين العلامات، ليعرفوا المدّعي بالآيات والداعي

* جاء في بعض الروايات من بعض قليل الدرايات أن الشمس تنكسف في أول ليلة رمضان، ولا يخفى أن هذا أمر بدهي البطلان. وأعجبي شأن تلك الرواة! ألم يكن لهم نظر إلى البديهات؟ ألم يعلموه أن كسوف الشمس لا يكون في الليل بل في النهار؟ وإذا طلعت الشمس فأين الليل يا ذوي الأبصار؟ منه.

بالكرامات. وأمّا إذا فرضنا ظهورَ آيات المهدي في مُلكنا هذا وظهورَ المهدي في بلاد أُخرى، فهذا ليس من المعقول، وليس له أثر في المنقول، ومع ذلك لا يوجد فيها مَنْ ادّعى أنّه مهدي الزمان ومُرسلُ الرحمن، فتعيّنَ بدليل الخُلف صدقنا عند ذوي العرفان. فإِذا مُتّبِعَ العثرات والمعائب.. أَمَعِنُ في هذا بالفكر الصائب، لعل الله يَخْلُصَك من شبكة الشيطان، ويسقيك كأس اليقين. ولا تتركَن إلا أخلَاءَ دنيك، فإنهم يعادونك إذ الله عاداك، فتبقى مخذولاً مردوداً وتصير من الملوّمين.

وَكَمْ مِنْ نَدَامَى أَدَارُوا الْكُؤُوسَا وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ شَحُّوا الرُّؤُوسَا
إِلَى مَا تُدَاجِي شَرِيرًا عَمُوسَا فَدَعُ وَاذْكَرْنَ قَمَطِيرًا عَبُوسَا
وَلَا تَخْشَ قَوْمًا يُبِيدُونَ جِسْمًا وَخَفَ قَهْرَ رَبِّ يُبِيدُ النُّفُوسَا

فثبت من هذا التحقيق اللطيف أن لفظ النصف الذي جاء في حديث الإمام التقي العفيف، ليس المراد منه كسوف الشمس في نصف ذلك الشهر الشريف كما فهمه بعض من ذوي الرأي الضعيف وأصروا عليه كالغبيّ السخيف والمعاند العتريف، وما فكروا كالعاقلين المنصفين، بل المراد من قوله: "وتنكسف الشمس في النصف منه" أن يظهر كسوفُ الشمس منصفًا أيام الانكساف، ولا يُجاوز نصفَ النهار من يوم ثان فإنه هو حدّ الإنصاف. فكما قدر الله انخساف القمر في أوّل ليلة من أيام الخسوف، كذلك قدر انكساف الشمس

في نصف من أيام الكسوف، ووقع كما قدّر كما أخبر خير المخبرين. ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^{٥٠}. وهذا نبأ عظيم من أنباء الغيب وأرفع من مبلغ العقول، فلا شك أنه حديث من خير المرسلين، وله طرق أخرى تشهد على صحته*، وصدّقه القرآن، فلا يُنكره إلا الملحد الفتان، ولا يكذّبه إلا من كان من الظالمين.

وقال المعاندون والعلماء المتعصّبون إن هذا الحديث ليس بصحيح، بل هو قول كذاب وقيح. وما لهم بذلك من علم، كُبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا، وكذّبوا ما أظهر الله صدقه وجلّى، ما كان حديثاً يُفترى، ولكن عُميت عليهم وطُبع على قلوبهم طبعاً. يا حسرة عليهم! لم ينكروا الحق معاندين؟ ما لهم لا يتّقون يوم الدّين؟ ما لهم لا يفكّرون في أنفسهم أنه حديث قد أنار صدقه، ولا يصدّق الله قول الكذّابين؟ وما كان الله ليُطلّع على غيبه كاذباً دجالاً عدوّ الصادقين، وقد علمت ما جاء في كتاب

٥٠ الجن: ٢٧-٢٨

* الحاشية: قد عرفت أن خير اجتماع الخسوف والكسوف موجود في القرآن الكريم، وجعله الله من إمارات النبأ العظيم. ويوجد هذا الحديث في كتب أهل التشيع كما يوجد في كتب أهل السنّة، ووجدنا كل حزب عليه متفقين. وكذلك جاء في صحف إشعياء النبي في الإصحاح الثالث عشر، وفي كتاب يوثيل النبي في الإصحاح الثاني، وفي إنجيل متى في الإصحاح الرابع والعشرين، ولا حاجة إلى التفصيل، فإن الكتب موجودة فأقرأها كالمُتدبرين. منه

مبين. وكيف يكذبونه وإن ظهور صدقه يشهد بشهادة واضحة أنه كلامُ رسولِ صدوقِ أمين. وكان الإمام محمدُ الباقر من أئمة المهتدين وفضلته الإمامُ الكامل زين العابدين. وفي سلسلة الحديث رجال من الصادقين الذين كانوا يعرفون الكاذبين وكذبهم وما كانوا مستعجلين. وما كان لهم أن يكتبوا حديثاً في صحاحهم وهم يعلمون أنه لا أصلَ له، بل في رواته رجل من الكذابين الدجالين. أخلطوا الخبيث بالطيب بعدما كانوا على خُبثه مستيقنين؟ وإن كان هذا هو الحق فما بال الذين خلطوا قذراً بالماء المعين متعمدين وهم كانوا أول عالم بأحوال الرواة المفترين.. أهُم صلحاء عندكم؟ كلا.. بل هم أول الفاسقين. ومن أظلم ممن افتري على الله كذباً أو كان مُعينَ روايات الكاذبين؟ أفأنت تشهد أن الدارقطني وجميع روايات ◊ هذا الحديث وناقِلوه في كتبهم وخالطوه في الأحاديث من أول الزمان إلى هذا الأوان كانوا من المفسدين الفاسقين وما كانوا من الصالحين؟ وأنت تجد كُتب القوم مملوءة من الحديث الذي سميته موضوعاً في مقالك مع زيادة علمهم منك ومن أمثالك، ومع زيادة اطلاعهم على حقيقة اشتبهت على خيالك، فلا تتبع جذباتِ نفسك وفكرِ كالمُتقين. ◎

◊ سهو، والصحيح: رُواة. (الناشر)

◎ اعلم أن للمخالفين اعتراضاتٍ وشبهاتٍ في هذا المقام، وكلها دالة على قلة التدبر وشدة الخصام كالتام، وأعظم الاعتراضات الجرحُ والقدح في الرواة.

وأما الجواب فاعلم أننا لا نُسلم جرح الجارحين وقدح القادحين، وهو غير ثابت عند المحققين. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. فالآية تدل على أن شهادة الفاسقين لا يجوز أن تُقبل إلا بعد تحقيق يجعل المحققَ كالمطمئنين. فإذا تقررَ هذا فنقول إن من الأحكام القرآنية والتأكيدات الفرقانية، أن نحسن الظن في مؤمن ونقول إن الدارقطني ما أخذ هذا الحديث من هذه الرواة إلا بعد تحقيق يكفي للإثبات، وإلا كيف يمكن أن يروي الدارقطني من فاسق كذاب عمداً ويجعل نفسه من الفاسقين؟ فلا شك أنه بنى أمره على الخبر والسير، ففكّر بالإنصاف والصبر، ولا تكن من الزائغين. وكيف يجترئ قلب مؤمن أن يُدخِل مثله في أهل الفسق والعدوان، ويجترئ على سب أهل الصلاح والإيمان ويحسبه من الخائنين المفسدين؟ فالأمر الحق الذي لا بد من قبوله، والنور الذي يرحل الشكُّ من حلوله، أن الدارقطني ما وجد في الرواة شيئاً يُعزى إلى الهنات، ورأى شهرة الحديث بالعيّن، فتاب العيان منابَ العدلين.

وأما إذا فرضنا أن الدارقطني رأى رُواة هذا الحديث من الفاسقين، ثم كتبه من غير تحقيق كالمفتريين الملحدّين، فهذا أمر يجعله أول المتلطحين بالسيئات، ويُثبت أنه كان خارجاً من دائرة الصلاح والتقاة، بل كان شراً مكاناً من الرواة، فإنه أخذ رواية رجل كان زائغاً كذاباً وراوي الموضوعات، وكان يضع للروافض وكان دجالاً وأكذب زمانه وناسجَ المفتريات، وكان من المشهورين المعروفين المطعونين كما كتب صاحب "صيانة الأناس" من الغزوينين. فما ظنك، أتحسب الدارقطني رجلاً فاسقاً وخارجاً من الديانة والدين؟

ثم اعلم أن القرآن الأمين لا يمنعنا أن نقبل شهادة الفاسقين، بل يقول ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.. يعني اقبلوا شهادتهم بعد التحقيق وتكميل مراتب التدقيق، ولا تقبلوها مستعجلين. فمن حسن الظن أن تُقرَّ بأن الدارقطني ما أخذ هذا الحديث من الرواة إلا بعدما حقق الأمر ورآهم كالثقات، وصار من المطمئنين. وتجد في البخاري بعض الرواة مطعونين بزيف المذهب وأنواع السيئات.

وللحديث طرق أخرى من الثقات، فلتنظرُ ما أخرجه نعيم بن حماد وأبو الحسن الخيري في "الجزئيات" روايةً عن عليّ بن عبد الله بن عباس، فتفكرُ كذوي الدرايات. وأخرج مثله الحافظُ أبو بكر بن أحمد بن الحسن، وكذلك عن كثير بن مرة الحضرمي والبيهقي. والقرآن مهيمن على كلها بالبينات المحكمات، فمن ينكره إلا من قسا قلبه وهوى في هوة التعصبات، وما تلمّظَ طعمَ التحقيقات، وما غاص في لُجّة الإدراكات، وما استخرج خبايا النكات، وما يممّ الحقّ كالمسترشدين.

وشهرة الحديث مع كثرة طرقه تدل على أنه قول رسول الله ﷺ، وكذلك فهم كل من علم وتعلم. وإلا فأئى حاجة ألجأت إلى ارتضاع كأس الأغيار؟ ألم تكن بكافٍ أحاديثُ خير الرسل لهداية الأبرار؟ فلم جمعوا أقوالاً ما كانت من خاتم النبيين، وما أخذت من رسول أمين؟ وهل هذا إلا دجلٌ وتليسٌ وفعل الشياطين؟ ولا يفعل هكذا إلا الذي سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك أهلها كالدجالين. وأمّا الذي أعطي حظاً¹ من الإيمان، ورزقَ اتباعَ السنة بتوفيق الرحمن، فيأنف ويستحي من الله ولا يرضع غير الوحي في موضع وحي الله، ولا قول الإنسان في مقام قول الرحمن كالمخترين. وتجد كثيراً من الرسائل في آثار أفضل الرسل خير الكائنات، وما قال الراوون إنهم القائلون وهي أقوالهم أو أقوال أمثالهم من أهل الصلاح والتقاة، بل ذكروها بيقين تام وتعظيم وإكرام لا ينبغي لقول أحد من الصلحاء إلا لقول خاتم الأنبياء سيد المرسلين. فهذا دليل أكبر وبرهان أعظم على أنهم ما ذكروا حديثاً من قسم المرسل إلا وكان مرادهم أنه من خير الرسل، وأنه حديث رسول الله وخاتم النبيين. وإن سبب الإرسال شهرة الخبر إلى حد الكمال، وكل ما هو مشهور ومُتعارف ومذكور في الرجال فلا يحتاج إلى الرفع والاتصال، وإنما المحتاج إلى الرفع آثارٌ من الآحاد، ليزول ظنة التحريف والإلحاد وخطأ الراوون. وكأين من الأخبار المشهورة المسلمة لا نشك فيها ولا نحسبها من القرية بل نحسبها يقيناً من السنة المطهرة والشعار الإسلامية، ولا تُثبت أهما من الأحاديث المرفوعة المتصلة، وهذا سرّ عظيم من الحكم الدينية، فخذها وكن من الشاكرين.

ثم اعلم أن الأحاديث التي مشتملة على الأمور الغيبية والأخبار المستقبلية ليس معيارها الكامل قانون ربّها المحدثون وكمّلها الراوون، بل المعيار الحقيقي الكامل أن تُطابق تلك

الأخبار واقعاتٍ مقصودةٌ وأموراً موعودةً معهودةً، ولا يبقى فرقٌ عند المتدبرين. ومَنْ ألقى هذا المعيار ولم يلتفت إلى الظهورات، فهو أجهلُ الناس بطرق التحقيقات، ومبلغُ علمه أن يقلد آثاراً ظنيّةً ويتبع أخباراً ضعيفةً شكّيّةً، ولا يهدى إلى طرق المهتمدين. وقال الذين ظلموا إن الخبر الضعيف ضعيف عند أهل السنّة ولو ظهر صدقه بالمشاهدة كالأنباء المستقبلية إذا بان صدقها بالمعينة وثبت أنّها من أحسن الخالقين. وهم يقرأون حديث خير البرية أن الخبر ليس كالمعينة، ويعلمون أن رسول الله ﷺ أيد المنقولات بالمعينات، وقال تنبيهاً للمعرض المائن: ليس الخبر كالمعائن، فرغب السامعين في أن يُقدّموا شهادة المعانين.

ومن أوهامهم الواهية أن كسوف الشمس قبل أيامها المقررة وأوقاتها المقدّرة ليس ببعيد من الله خالق السماوات والأرضين. وقالوا إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مات يوم العاشر من الشهر، وعند ذلك كُسفت الشمس بإذن الله الرحمن، فكيف لا تنكسف في آخر الزمان بإذن رب العالمين؟

ولا يعلمون أن هذا القول ليس بصحيح، بل هو من نوع كذب صريح، ومن كلمات المفترين. وذكر ابن تيميّة أن هذا القول عن الواقدي فهو باطل بجميع ما فيه، فإن الواقدي ليس بحجة بالإجماع إذا أسند ما ينقله، فكيف إذا كان مقطوعاً؟

وقول القائل إن الشمس كُسفت يوم العاشر بمنزلة قوله طلع الهلال في عشرين. ثم مع ذلك قد شهد الاستقراء الصحيح المحكم والنظر الصحيح الأقوم، أن سنّة الله قد جرت أن القمر لا ينخسف إلا في أيام كمال النور، والشمس لا تنكسف إلا في أواخر أيام الشهر، ولا تبديل لسنّة رب العالمين. وكذلك ظهر نبأ الخسوف والكسوف على هذه السنّة القديمة والعادة المستمرّة الظاهرة. فأيّ ضرورة اشتدّت لكي نحرف المعنى الصحيح المعلوم، وأي مصيبة نزلت لكي نبذل المعارف المفهوم. وقد ظهرت الحقيقة التي أراد الله ظهورها، فلا تكذبوا بالحق لما جاءكم، ولا تُعرضوا عن الثابت الموجود والمعان المشهود. وقد بسطنا كلامنا دعوةً للطلالين، وأثبتنا الأمر من الكتاب والسنّة وأقوال الأئمة وسلف الأمة. فهل من رجل يتقي الله ويتخير سبل الصالحين؟

ومن أوهامهم أن هذا الحديث ليس حديث نبينا محمد المصطفى، بل هو قول الإمام الباقر، ولا نجد فيه اسم سيد الورى.

وأما الجواب فاعلم أن هذا أمر من أمور الدين، وما كان للباقر ولا لغيره أن يتكلم بكلام هو من شأن النبيين. وما قال الإمام الباقر عليه السلام إنه قولي، وما عزاه إلى نفسه، فهذا هو الدليل القطعي على أنه قول خير المرسلين. والدليل عليه أنه من عادة السلف أنهم إذا نطقوا في الدين بقول، وما نسبوا القول المنطوق إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم من المؤمنين، وما بحثوا فيه كالمستدلّين، بل نطقوا كالمقلّدين، فيعونون من ذلك القول قول رسول الله صلى الله عليه وآله، ويذكرونه مُرسلاً إشارةً إلى شهرته التي تُغني عن الاضطرار إلى تفتيش إسناده، فإنه أمرٌ أحكمه شهرته، فما بقيت حاجةً عمادٍ آخر. هذا هو الحق فتقبّل ولا تكن من الممتريين.

ومن أعظم أوهامهم الذي نشأ من أتباع الظن والهوى، وما مصّ ثدي الصدق مَصاصة النوى، بل يتضاغى من الطوى، أنهم يقولون إن للمهدي كانت علامات قرية من المتين، فلا تقبلك ولا نصدق دعواك أبداً إلا بعد أن نرى كلها برأي العين، وأما قبل ظهورها فلا نظنك إلا مُفترياً وناحت المين ومن الكاذبين، وهيات أن تُراجعك مَقْتناً، وتعلّق بك ثقتنا، إلا بعد أن يتحقق الآثار كلها فيك، ولن نتقبّل قبلها ما يخرج من فيك، بل نحسبك من المفسدين.

أما الجواب فاعلم أن هذه كلها أوهام كالسراب اختلّب بها أولئك المألأ واستعذبوا عين العذاب، وقام العلماء مقام المريب الخادع، فأضلّوا الخلق وكذبوا كلام الصادق الصادع، وقلبوا الحق كالدجال الفتان، وأغربوا في الافتنان، وجاءوا بتبليس مبين. والحق الذي يلمع كذكاء وينير القلوب بضياء، فهو أن الآثار المشتملة على الأبناء المستقبلية ليست سواء، بل على أقسام ودرجات، فمنها كبيبات، ومنها كمتشابهات، فالخير الذي حصحصت أنوار ظهوره، وتبينت لمعات نوره، وبان صدقه وحقيقته، وانكشفت سككه وطريقته، وعرفه عقول الأكياس، وشهد عليه شهداء القياس، فظهر أن له سمةً حسنةً من حلية الصداقة، وقد فُتشت وحُققت على حسب الطاقة، وما بقي كسرٍ مُلغزٍ، أو كلامٍ مُوجزٍ، بل استبان الحق ولمع الصدق، وجمع كل ما يشفي العليل ويروي

الغيليل، ورآه حزب من المعانين؛ فهذا الخبر قد دخل في سلسلة البيّنات، ولا يتطرّق ضعف إليه ولو خالفه أُلوف من الرواة وروايات الثقة، فإن المشاهدات لا تبطل بالمتنولات، والبديهيات لا تُزيّف بالنظريات. مثلاً.. إن كنت تعلم أنك حيّ وبقيد الحياة، فكيف تصدّق موتك بكثرة الشهادات؟ فكذلك إذا ححصص أمرٌ وبان، فلا يُقال إن راويه كان كاذباً فكذب ومان، وإذا بلغت الأنباء إلى مرتبة البيّنات، فلا تحتاج² صدقها إلى تحقيق تقوى الرّواة، بل هذه حيلٌ وُضِعَت لأخبار مأخوذة من الآحاد، ولو كانت متواترة ما كانت محتاجة إلى هذا العِماد. وصدق البيّنات بسين كالشمس في نصف النهار، ولا يكذبها إلا من كان جاهلاً أو من الأشرار، وأمّا الأخبار التي ما بلغت إلى هذه المرتبة فهي لا تُطفئ نور البيّنات المشهورة البديهة، ولو كانت مئة ألف في العدة، فإنها ليست بينة الأنوار، بل في حجب الاستتار، ولو فرضنا أن كلها حق باعتبار صدق الرواة، فلا تزول منها الحقائق الثابتة كالمرئيات، بل نؤولها ونحتاج حينئذ إلى التأويلات، فإن الآحاد من الأخبار ما بلغت إلى حد التواتر عند أولي الأبصار، فصدقها اعتبارية لا حقيقية³ كالأمور المحرّبة، فإننا لا نعرفها إلا باعتبار رواة ظننا أنهم من أهل التقوى والضبط والحفظ والمعرفة. ونسبة هذه القاعدة إلى تحقيقات مبينة على المعاينة كنسبة التيمم إلى الوضوء عند أهل التحقيق والخبرة. فالذي فتح الله عليه أبواب الحقائق من وسائل حقيقية كاشفة للغطاء، أو من إلهامات صحيحة صريحة منزّهة عن دخن الخفاء، فوجّب عليه ألا يتوجه إلى ما يخالفه ولا يؤثر الظنّ على اليقين. وأنتم يا متّبعي الظنون، قد نسيتم الحق عمداً، وتخيّرتم الظنّيات معتمدين أوّداً، ونسيتم الذي يعلم رشدًا، وقد قال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، والقول الثابت بوسائل حقيقية لا اعتبارية يُشابه محكمات الفرقان، والأمر الذي لم يثبت إلا بوسائل اعتبارية فيشابه متشابهات القرآن، فالذين في قلوبهم مرض يتبعون المتشابهات ويتركون المحكمات البيّنات، ومن لم يبلغ كلامه إلى يقين تام مملوّ من أنوار فما هو إلا كسّمّار. فمن الديانة أن نجعل المتشابهات تابعة للبيّنات. فإذا وجدنا أن واقعة من الوقاعات قد تبينت، وأنوار صدقه ظهرت، فعلينا أن نؤول كل ما يخالفه من الروايات، ونجعل تحتها بحسن النيّات، ومن لم يقتد بهذه القاعدة فلم تزل نفسه في غيٍّ حتى تهلكه⁴ غيّه بمُدَى الجهالات.

والعاقل المتدبر ينظر في كيفية تحقق الأخبار لا في صور كثرة الآثار، فإذا رأى خيرا من الأخبار المستقبلية، والأبناء الآتية، أنه تبين وظهر صدقه كالأمر البديهية المحسوسة، فلا يُبالي آثارًا ما ثبتت إلى هذه المرتبة، ولو كانت روائها كلهم ثقافتًا ومن الزمر المسلمة، بل يُعرض عن كل ما خالف طرق الأمور الثابتة، ويحسبه كالأمتعة الرديئة، ولا يشتري الاحتمالات الضعيفة بالأمور البيّنة القويّة الواضحة، ويعلم أن الخبر ليس كالمعاينة. وهذا هو القانون العاصم من العثرة والمذلة، فإن الأمر الذي ثبت بالدلائل القاطعة.. كيف يزول بالأخبار الاحتمالية، وليس المُخبر كالمُعِين عند المحققين. أنسيتَ قولَ خاتم النبیین، أو كنتَ من المجانين؟

والذين يجوزون تقلد الآثار الضعيفة على الأخبار الثابتة المشهودة.. أعجبتني كيف ساغ لهم ذلك بعدما انكشف الغطاء عن وجه الحقيقة؟ وكيف قبعوا على الظنون بعدما جاء الحق وتجلت أنوار اليقين؟ هذا وقد أمرنا النظر على آثارهم وأمعنا في أخبارهم، فما وجدنا في أيديهم إلا ذخيرة الآحاد، وفي روايات المهدي كثير من التناقضات وأنواع الفساد. فهذا القانون الذي ذكرته والمعيار الذي قررتّه، خيرٌ ومبارك للذين يريدون تنقيح الأمور والتفصي من الزور والمخدور، وهو أنفع وأطيب في أعين المحققين، وقول فصل للمتنازعين. فليكن أن تحقق أمرًا من الأمور حتى يظهر كالبينات، ولا يبقى فيه رائحة من المشابهات، فإذا رأيت أنه حصص وما بقي فيه ظلام الخفاء، وظهر كظهور الضياء، فاجعله قيمًا وبعلاً للمتشابهات التي ما انكشفت كالبينات، فإن انتظم بينهما الوفاق.. وإلا فالطلاق والتبري والانطلاق. وعليك أن تؤمن بالبينات المحكمات على وجه البصيرة مع الأتباع والاقداء، وتردّ علم حقيقة المشابهات الثابتة إلى حضرة الكبرياء، مع إيمانك المحمل بتلك الأنباء، وهذا هو طريق الأتقاء وسيرة الأتقياء، وهذا هو القانون العاصم من الخطأ، أو المنجّي من بليّة تشاجر الآراء.

وإذا رأينا نبأ الكسوف والخسوف برعاية هذا القانون، فوجدنا ذلك النبأ ثابتًا ولامعًا كالدرّ المكنون. فكلما رأينا من رواية لا توافقه ولا تطابقه، بل وجدناها كمطيّة أبيّة القياد، أو كأوابد كثيرة الشراد، فأعرضنا عنها كإعراض الصالح من الفساد، فخذ تلك التّكات، وثبّ مما فات كالصالحين.

وأما قولك إن الحديث يدلّ على خسوف القمر في أوّل الليلة⁵ فهذا جهل وحمق، ونبكي على عجزك وعلى هذه العيلة يا مسكين. انظر في الكتاب المسمّى "لسان

العرب"، الذي لم يُؤلف مثله عند أهل الأدب، قال: الهلال غُرَّةُ القَمَرِ حين يُهَلُّ^٦ الناسُ في غُرَّةِ الشهر. وقيل: يُسَمَّى هلالاً لليلتين من الشهر، ثم لا يُسَمَّى به إلى أن يعود في الشهر الثاني. وقيل: يُسَمَّى به ثلاث ليالٍ ثم يُسَمَّى قمراً. وقيل: يُسَمَّاه حتى يُحَجَّرَ. وقيل: يُسَمَّى هلالاً إلى أن يَبْهَرَ ضَوْؤُهُ سوادَ الليل، وهذا لا يكون إلا في الليلة السابعة. قال أبو إسحاق: والذي عندي وما عليه الأكثرُ أن يُسَمَّى هلالاً ابن ليلتين، فإنه في الثالثة يتبيّن ضَوْؤُهُ. فانظر يا ذي العينين إن كنت من الطالبين.

والآن نرسم لك جدولاً وتُريك أن رسول الله ﷺ ما سَمَّى القمر في ليلة أولى من الشهر قمراً، بل سَمَّاه هلالاً، فإن كنت تُنكره فأُخْرِجْ لنا خلاف ذلك، وإلا فاقْبَلْ ما ثبت من رسول الله ﷺ إن كنت من المؤمنين.

العدد	رَوَاهُ	الصفحة	قوله: "وَيَا أَيُّهَا"	رَوَاهُ	تَرْجُمَةً
١	صحيح البخاري	٢٥٥	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	أحمدي ميرقد	قال ثني عقيل ويونس لهلال رمضان إلخ
٢	صحيح البخاري	٢٥٥	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	أحمدي ميرقد	قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا
٣	صحيح البخاري	٢٥٦	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	أحمدي ميرقد	لا تصوموا حتى تروا الهلال إلخ
٤	صحيح مسلم	٣٤٧	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصاري دهلي	عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه ذكر رمضان فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال
٥	صحيح مسلم	٣٤٧	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصاري دهلي	قال رسول الله ﷺ الشهر تسع وعشرون، فإذا رأيتم الهلال
٦	صحيح مسلم	٣٤٧	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصاري دهلي	قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الهلال
٧	صحيح مسلم	٣٤٨	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصاري دهلي	ذكر رسول الله ﷺ الهلال
٨	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد.. إلخ.	أنصاري دهلي	واستهلّ عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال

٩	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد. إلخ.	أنصاري دهلي	ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال
١٠	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد. إلخ.	أنصاري دهلي	قال تراءبنا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال.. إلخ
١١	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد. إلخ.	أنصاري دهلي	إنّا رأينا الهلال فقال بعض القوم.. إلخ
١٢	صحيح مسلم	٣٤٩	باب معنى قوله ﷺ.. إلخ	أنصاري دهلي	قال أهلنا رمضان
١٣	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	فقال من رأى الهلال
١٤	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	وإنهما أهلاه بالأمس
١٥	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال
١٦	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إذا رأيتم الهلال
١٧	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلة بعضها أعظم من بعض، فإذا رأيتم الهلال
١٨	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	رأى الهلال
١٩	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلة بعضها أعظم من بعض، فإذا رأيتم الهلال
٢٠	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنهما أهلاه
٢١	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال
٢٢	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنهما أهلاه بالأمس
٢٣	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	فشهدا عند النبي ﷺ بالله لأهلاً الهلال أمس

٢٤	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنهم رأوا الهلال
٢٥	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس
٢٦	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن رجلا شهد عند عليّ بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> على رؤية هلال رمضان
٢٧	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال الشافعي: فإن لم تر العامة هلال رمضان
٢٨	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال الشافعي: من رأى هلال رمضان وحده فليصمه، ومن رأى هلال شوال
٢٩	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال مالك في الذي يرى هلال رمضان
٣٠	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	ومن رأى هلال شوال
٣١	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قد رأينا الهلال
٣٢	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال أهلنا هلال ذي الحجة
٣٣	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	رأينا الهلال فقال بعضهم: هو ثلاث، وقال بعضهم لليلتين
٣٤	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنّا رأينا الهلال
٣٥	سنن الدارقطني	٢٣٤	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال: أهلنا هلال رمضان
٣٦	سنن الدارقطني	٢٣٤	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	واستهلّ عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال
٣٧	سنن الدارقطني	٢٣٤	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	ذكر الهلال مني رأيتم الهلال

رجلان يشهدان عند النبي ﷺ أنهما أهلاه بالأمس	فاروقي دهلي	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	٢٣٤	سنن الدارقطني	٣٨
أصبح رسول الله ﷺ صائما صبح ثلاثين يوما فرأى هلال شوال	فاروقي دهلي	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	٢٣٥	سنن الدارقطني	٣٩
قال رأى هلال شوال	فاروقي دهلي	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	٢٣٥	سنن الدارقطني	٤٠
حتى تروا الهلال	فاروقي دهلي	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	٢٣٥	سنن الدارقطني	٤١
سألت الزهري عن هلال شوال	فاروقي دهلي	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	٢٣٥	سنن الدارقطني	٤٢
أحسوا هلال شعبان لرمضان	فخر المطابع دهلي	أبواب الصوم، باب ما جاء في إحصاء هلال	١٢١	الترمذي	٤٣
قال رسول الله ﷺ لا تصوموا حتى تروا الهلال	بمبي سنة ١٢٨٢	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	١٦٦	المشكاة	٤٤
قال رسول الله ﷺ أحسوا هلال شعبان لرمضان	بمبي سنة ١٢٨٢	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	١٦٦	المشكاة	٤٥
إني رأيت الهلال يعني هلال رمضان	بمبي سنة ١٢٨٢	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	١٦٦	المشكاة	٤٦
قال تراءى الناس الهلال	بمبي سنة ١٢٨٢	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	١٦٦	المشكاة	٤٧
ترأينا الهلال فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين	بمبي سنة ١٢٨٢	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	١٦٧	المشكاة	٤٨
أهللنا رمضان	بمبي سنة ١٢٨٢	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	١٦٧	المشكاة	٤٩

١ سهو، والصحيح: "حظاً". (الناشر)

٢ سهو، والصحيح: "يحتاج". (الناشر)

٣ سهو، والصحيح: "اعتباري لا حقيقي". (الناشر)

٤ سهو، والصحيح: "يهلكه". (الناشر)

٥ سهو، والصحيح: "ليلة". (الناشر)

٦ سهو، والصحيح: "يُهله". (الناشر)

أفأنت تشكّ في حديث حصصت صحّته وتبيّنت طهارته أنه ضعيف في أعين القوم، أو هو مورد اللوم، أو في رُواته أحد من المطعونين؟ أفذلك مقام الشك أو كنت من المجنونين؟ وقد صدّقه الله وأنار الدليل، وبرّاً الرُواةَ مما قيل، وأرى نور صدقه أجلى وأصفى، فهل بقي شك بعد إمارات عظمى؟ أتشكّون في شمس الضحى؟ أتجعلون النور كالدجى؟ أتعاميتم أو كنتم من العمين؟ أتقبلون شهادة الإنسان ولا تقبلون شهادة الرحمن وتسعون معتدين؟ أفأنت تعتقد أن الله يُظهر على غيبه الكذّابين المفترين المزورين؟ أتشكّ في الأخبار بعد ظهور صدقها؟ وإذا حصصَ الصدق فلا يشك إلا من كان من قوم عادين. وهذا أمر لا يحتاج إلى التوضيح والتعريف، ولا يخفى على الزكيّ الحنيف، وعلى كل من أمعن كالمُتدبرين.

ثم اعلم يا ذا العينين أن لفظ "النصف" لفظ ذو معنيين، فكما أن لفظ "الأول" يدلّ على أوّل وقت الليلة بالمعنى المعروف، ومع ذلك على ليلة أولى من أيام الخسوف، فكذلك لفظ "النصف" يدلّ على نصف ثانٍ من نصفَي الشهر الموصوف، ومع ذلك على وقتٍ منصفٍ لأيام الكسوف، وهو أوّل نصفَي النهار في الثامن والعشرين. وأمّا أيام الكسوف من مولى علامّ فاعلم أنّها عند أهل النجوم ثلاثة أيام، وهي من السابع والعشرين من الشهر القمري إلى التاسع والعشرين، وتنكسف الشمس في أحد منها عند اقتران القمر على شكل خاص بعد تحقّق اختصاص، كما شهدت عليه تجارب

المنجّمين. فأخبر رسول الله ﷺ خير الأنام أن الشمس تنكسف عند ظهور المهدي في النصف من هذه الأيام، يعني الثامن والعشرين قبل نصف النهار، وكذلك ظهر كما لا يخفى على أولي الأبصار. فانظر كيف تمت كلمة نبينا صدقاً وعدلاً، فاتق الله ولا تكن من الممترين. ومن ههنا بان أن الذي خالف هذا البيان، وزعم أن الشمس تنكسف في السابع والعشرين أو في نصف رمضان فقد مان، وما فهم قول رسول الله ﷺ وما مسّ العرفان، بل أخطأ فيه من قلة البضاعة والعيلة، كما أخطأ في الخسوف في أول الليلة، وما كان من المصيبين.

وما قلتُ من نفسي بل هذا إلهام من ربّ العالمين. وذلك عصرٌ مجموعٌ فيه الناسُ كما جُمع القمر والشمس وقربُ البأس، فقوموا متنبّهين. أيها الأناس.. ما لكم لا يترككم النعاس؟ ومن كان من عند الله فما له الزوال، فامكروا كل المكر ولن تزول منكم الجبال، ولن تُعجزوا الله يا أبناء الضلال. إنه عزيز ذو الجلال، جعل على قلوبكم أكنةً فلا تفقهون أسرارَه، وكنتم قومًا محجوبين. إنّما استزلّكم الشيطان ببعض ما كسبتم، فما فهمتم الحق وارتبم وطفقتم تتبعون بئس القرين.

وإن كنتم لا تقبلون ما ظهر كمُنكرٍ وقيحٍ، وتظنون أنه حديث غير صحيح، وأنه ليس من خير المرسلين، فأتوا بنظير من مثله في حججٍ خلونَ من قبل زماننا إلى أواننا إن كنتم صادقين. وأرونا كتابا فيه

ذِكْرُ رجلٍ ادَّعى أنه من الله الرحمن وأنه المهدي المسعود القائم من المحسن المَنَّان، وأنه المسيح الموعود لإطفاء نائرة أهل العدوان، وأنه أرسل لإصلاح الزمان ليجدّد الدين ويعلم طرق الإيمان، ثم كان دعواه مُقارَنَ هذه الآية من الحكيم الحنّان، وجمع الله في أيام ادّعائه الخسوفين في رمضان، صادقًا كان أو من الكاذبين. وإن لم تأتوا بمثله، ولن تأتوا أبدًا، ولا تملكون إلا زبدًا، فاعلموا أنه آية لي من الله الوليّ، هو ربّي أيديني من عنده وعلمني من لدنه وتولّاني، وفتح عليّ أبوابَ علوم الذين خلوا من قبل وجعلني من الوارثين.

ها أنتم كذّبتُم بآية الله وما استطعتم أن تأتوا بمثلها. ومنكم قوم صدّقوا بعدما أمعنوا وحدّقوا، فأَيّ الفريقين أحقُّ بالأمن يا معشر المستعجلين؟ ألا تخافون أنكم كذّبتُم حديث المصطفى وقد ظهر صدقُه كشمس الضحى؟ أتستطيعون أن تُخرِجوا لنا مثله في قرون أُولى؟ أتقرأون في كتاب اسمَ رجلٍ ادّعى وقال إني من الله الأعلى، وانخسف في عصره القمرُ والشمسُ في رمضان كما رأيتم الآن؟ فإن كنتم تعرفونه فبينوا يا معشر المنكرين، ولكم ألف روية من الورق المروّج إنعامًا مني، فخذوا إن تُثبتوا، وأشهدُ الله على عهدي هذا، وأشهدوا وهو خير الشاهدين. وإن لم تُثبتوا، ولن تُثبتوا، فاتقوا النار التي أعدت للمفسدين.

قَضَى بَيْنَنَا الْمَوْلَى فَلَا تَعْصِرِ قَاضِيَا
وَأَطْفَيْءِ لَطَى الطَّغْوَى وَفَارِقِ حَاضِيَا
وَوَدِّعِ وُجُودَ الظَّالِمِينَ وَجُودَ ضَعْفِهِمْ
وَلَا تَشْطَبِينَ مِثْلَ الشَّدَى أَوْ ضَالِحِ
وَعَادِرِ ذَرَى أَهْلِ الْهَوَى وَرِضَاءِهِمْ
وَكُنْ فِي شَوَارِعِهِ ضَلِيلًا نَاضِيَا
وَإِنْ لَعَنَكَ السَّفَهَاءُ مِنْ طَلَبِ الْهُدَى
فَكُنْ فِي مَرَاضِي اللَّهِ بِاللَّعْنِ رَاضِيَا

ثم إذا كانت حقيقة الكسوف بالتعريف المعروف أنه هيئةٌ حاصلة من حول القمر بين الشمس والأرض في أواخر أيام الشهر، فكيف يمكن أن يتكلم أفصح العجم والعرب بلفظٍ يخالف محاورات القوم واللغة والأدب؟ وكيف يجوز أن يتلفظ بلفظٍ وضع لمعنى عند أهل اللسان، ثم يصرفه عن ذلك المعنى من غير إقامة القرينة وتفصيل البيان؟ فإن صرف اللفظ عن المحاورة ومعانيه المرادة عند أهل الفن وأهل اللغة لا يجوز لأحد إلا بإقامة قرينة موصلة إلى الجزم واليقين.

وقد ذكرنا أن القرآن يصدّق هذا البيان، ولو كان الخسوف والكسوف في أيام غير الأيام المعتادة بالتقليل أو الزيادة، لما سمّاه القرآن خسوفاً ولا كسوفاً، بل ذكره بلفظ آخر وبينه بيان أظهر، ولكن القرآن ما فعل كذا كما أنت ترى، بل سمّى الخسوف خسوفاً، ليُفهّم الناسَ أمراً معروفاً. نعم.. ما ذكر الكسوف باسم الكسوف، ليشير إلى أمر زائدٍ على المعتاد المعروف، فإن هذا الكسوف الذي ظهر بعد خسوف القمر كان غريباً ونادر الصور، وإن كنتَ تطلب على هذا شاهداً أو تبغي مُشاهداً فقد شاهدتَ صورَه الغريبة

وأشكاله العجيبة إن كنتَ من ذوي العينين. ثم كفاك في شهادته ما طُبِعَ في الجريدتين المشهورتين المقبولتين.. أعني الجريدة الإنكليزية "بانير" (*Pioneer*)، وسِوِلِ مِلِترِي كَزِتِ (*Civil & Military Gazette*)، المشاعتين في مارج سنة ١٨٩٤ والمشتهرتين.

وأما تفصيل الشهادتين فهو أن هذا الكسوف الواقع في ٦ إبريل سنة ١٨٩٤ متفرّد بطرائفه، ولم يُرَ مثله من قبل في كوائفه، وأشكاله عجيبة وأوضاعه غريبة، وهو خارق للعادة ومخالف للمعمول والسنة، فثبت ما جاء في القرآن وحديث خاتم النبيين. ولا شك أن اجتماع الخسوف والكسوف في شهر رمضان مع هذه الغرابة أمر خارق للعادة. وإذا نظرتَ معه رجلا يقول إني أنا المسيح الموعود والمهدي المسعود والملمّم المرسل من الحضرة، وكان ظهوره مقارناً بهذه الآية، فلا شك أنها أمور ما سُمِعَ اجتماعها في أوّل الزمان، ومن ادّعى فعلية أن يثبت وقوعه في حين من الأحيان. ثم لما ظهرت هذه الآية في هذه الديار وهذا المقام، ولم يظهر أثرٌ منها في بلاد العرب والشام، فهذه شهادة من الله العلامّ لصدق دعوانا يا أهل الإسلام، فقوموا فرادى فرادى، واتركوا من بخل وعادى، ثم تفكّروا ودعّوا عنادا، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تُفسدوا إفسادا، ولا تُعرضوا مستعجلين. يا عباد الله.. رحمكم الله. اتقوا الله ولا تتكبروا، وفكّروا وتدبّروا، أيجوز عندكم أن يكون المهدي في بلاد العرب أو الشام، وآيته تظهر في هذا المقام؟ وأنتم تعلمون أن الحكمة الإلهية لا

تُبعِدُ الآيَةَ مِنْ أَهْلِهَا وَصَاحِبِهَا وَمَحَلِّهَا، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَهْدِيُّ فِي مَغْرِبِ الْأَرْضِ وَأَيَّتِهِ تَظْهَرُ فِي مَشْرِقِهَا؟ فَكُفَاكُمْ هَذَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الطَّالِبِينَ.

ثم مع ذلك لا يخفى عليكم أن بلاد العرب والشام خالية عن أهل هذه [◆] الادِّعاء، ولن تسمع أثرًا منه في تلك الأرجاء، ولكنكم تعلمون أنني أقول من بضع سنين بأمر رب العالمين، إني أنا المسيح الموعود والمهدي المسعود، وأنتم تكفرونني وتلعنونني وتكذبونني، وجاءتكم البيِّنات وأزيلت الشبهات، ثم كنتم على التكفير مصرين. أعجبتكم أن جاءكم منذر منكم على رأس المئة في وقت نزول المصائب على الملَّة واشتداد العِلَّة، وكنتم تنتظرون من قبل كانتظار الأهلَّة، وقد جاءكم في أيام إحاطة الضلالات وتغيُّر الحالات، بعدما ترك الناس الحقيقة، وفارقوا الطريقة؟ ألا تنظرون أو صرتم كالعمين؟ ألا تذكرون ما قال عالم الغيب وهو أصدق القائلين، وبشركم بإمام آتٍ في كتابه المبين، وقال: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[◎]. ولكلُّ ثلَّةٍ إمامٌ، فانظروا هل فيه كلام، فأين تفرون من إمام الآخريين؟

◆ سهو، والصحيح: "هذا". (الناشر)

◎ الواقعة: ٤٠ - ٤١